المحاضرة الثّالثة الإحياء الشّعري في المغرب العربي

تمهيد:

ما تزال الحركة الشعرية الإحيائية في العصر الحديث تشهد حضورا في الوطن العربي، ولكن هذه المرة في أرض أخرى غير المشرق إنها بلاد المغرب العربي، حيث سُجِّلت فيها إنتاجية منوعة وثرة ومتماشية مع مجموع الظروف التي مرت بها تلك البلاد، هذه الحركة أطلق عليها سمية الإحيائية الشعرية المغربية، وعليه، كيف هي ما قبليات الخطاب الإحيائي المغربي الحديث؟ ما هي أسباب ميلاد الحركة الإحيائية؟ ومن هم أبرز شعرائها؟ ما هي الخصائص التي تميز بها الخطاب الشعري الإحيائي المغربي في العصر الحديث ؟

أوّلا- مفاهيم أوّليّة:

يقع غرب المشرق العربي أقطار لغتها الرسمية هي اللغة العربية ودينها هو الإسلام، وبحكم موقعها غرب المشرق أطلق عليها المؤرخون والدارسون المعاصرون سمية بلاد المغرب العربي، وهو "عندهم لا يعني سوى تلك الأقطار مجتمعة (ليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا)"[1]. نحدد بداية العصر الحديث في هذه الأقطار بدءا من دخول الاستعمار الأجنبي والبداية الفعلية كانت مع تاريخ احتلال فرنسا للجزائر وذلك سنة 1830م، في حين كان فرض الحماية على تونس سنة 1881م، لتتأخر باقي دول المغرب العربي في احتلالها حيث تتحدد الحماية في المغرب الأقصى سنة 1912م، وموريتانيا عام 1903، في حين احتلت ليبيا من قبل الاستعمار الإيطالي في سنة 1911م، ينتهي العصر الحديث بالنسبة لدول المغرب المغربي حسب رأينا قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية وذلك في سنة 1945م.

أول الحركات الشعرية بروزا بالمغرب العربي هي الإحيائية، يطلق عليها يوسف ناوري مصطلح التقليدية، في حين ابن تاويت فيسميها التقليد العتيق. ويراد بالإحيائية في الخطاب الشعري المغربي الحديث "مجموع الممارسات الشعرية التي تثبت سنة اتباع التقاليد الشعرية العربية القديمة وجعلت من القصيدة التي تعارفها العرب طوال تاريخهم في إيقاعها وبنائها في رؤيتها والذاتية طريقة قولها من خلال عمود مخصوص أنموذجها تقتفي مظاهره وعلاماته الدالة وتتمثلها"[2].

ثانيا_ أسباب وجود الحركة الإحيائيّة الحديثة في المغرب العربي:

يعود وجود الإحيائية ببلاد المغرب العربي إلى مجموعة من الأسباب الخاصة بهذه البيئة، ونذكر منها طبيعة الأسرة المغربية المتسمة بالطابع الإحيائي، وذلك راجع إلى أصولها ولهذا السبب أخضعت تلك الأسر نظام تعليم أبنائها لطبيعتها الإحيائية، فكانوا ينهلون معارفهم وخاصة الشعر من المرجعية التراثية، حتى غدت إنتاجات شعراء تلك الأسر ذات سمت إحيائي. ومن الأسباب نضيف انفراط عقد الوصال فيما بين المشرق والمغرب، فإبان مرحلة الاستعمار بقي المغرب العربي طوال هذه الفترة محجوبا عن كل جديد ومستجد يخص الحركة الشعرية المشرقية، فراح الشعراء المغاربة يتمثلون "الثقافة القديمة بعيدا عن كل تيار فكري جديد في حين أن غيره من البلاد العربية ولا سيما الشرقية كمصر والشام والعراق كانت تشهد قيام حركة علمية وأدبية نشيطة"[3]. وآخر سبب راجع إلى عامل الاستعمار الذي تأكد خطره عند المغاربة وذلك من خلال إلغائه اللغة العربية واستبدالها باللغة الفرنسية، وكذا محاربته الدين الإسلامي بزرع البدع والخرافات في المجتمع المغربي، فضلا عن سياسة الاستعمار الرامية إلى تنصير البلاد فقد "أجمع ساسة فرنسا وقوادها العسكريون والمبشرون الدينيون وغيرهم من رجال الفكر والثقافة على التمهيد بسياستهم العدوانية على الهوية لتنصير البلاد والعباد"[4]..إلخ، فانكفأ شعراء المغرب العربي وراء أسوار الأنموذج الإحيائي كوجه من وجوه محاربة هذا الدخيل وذلك باستخدامهم الخطاب الشعري ضد المستعمر كخط دفاع عن مكتسبات الأوطان المغربية الحديثة من حيث الهوية واللغة والدين.

ثالثا_ الحركة الشّعريّة قبل العصر الحديث :

عرفت الحركة الشعرية المغربية لمرحلة ما قبل العصر الحديث نشاطا، ورواجا، وغزارة إنتاج، ورقي أنموذج على كافة المستويات*، وذلك على مدار القرن الثامن عشر، فنظم الشعراء المغاربة في غرض الهجاء، والرثاء، والحكمة، فضلا عن الموشحات، والأزجال، والشعر الصوفي، والمولديات، فكان شعر هذه المرحلة قريبا من خاصيات الشعر المشرقي في عهد العباسيين والأمويين والجاهليين نظارة، ورقة، وسلاسة، وعذوبة، وسلامة معنى. ومن الأغراض التي نتمثل بها في أوراقنا الوصف الذي انتشر في الخطابات الشعرية المغربية وخاصة وصف الطبيعة في عمومها، والذي ساعد الشعراء على ذلك هو جمال الطبيعة المغربية فوصفوا كل جميل وقعت عليه أعينهم وأثر فيهم، ومن تلك الموصوفات جمال مدينة مزغنة وأمطارها، وخضرتها التي وصفها ابن راشد، وكذلك وصف الرياض التي نظم فيها كل من الشيخ محمد بن محمد وتلميذه أحمد بن عمار الجزائري، الذي نستشهد له بهذه القصيدة في وصف روض، حيث يقول :

أَنَسِيم رَوْضٍ رَقَّ في سَرَيَانِهِ وثَنَى الصَّيبُ فَرَاقَ في مَيلانِهِ

بَعثَتْ أَرِيجَتُهُ السَّلْوَ في خَاطِرِي فَتَخَلَّصَ المَحْزُونُ من أَحْزَانِهِ

أمْ رَوْضَةٌ غَنَّاءُ رَاقَ رُوَاؤُهَا خَلَعَ الرَّبِيعُ بها حُلَى أَلْوَانِهِ

وجَرَى بهَاتِيكَ الجَدَاوِلِ مَاؤُهَا فَبَدَا انْسِيَابَ الرُّقَطِ من جَرَيَانِهِ

وأَمَالَ أَعْطَافَ الغُصُونِ نَسِيمُهَا لمَّا انْبَرَى للرَّكْضِ في مَيْدَانِهِ

وتَفَتَّقَتْ أَكْمَامُهَا عن زَهْرِهَا فَتَعَطَّرَ المِضْمَارُ من رَيْعَانِهِ[5]

ونضيف من الأغراض المدح الذي ذاع وانتشر بكثرة بسبب طبيعة الحكم الملكي، فكان الشعراء يدخلون به على ملوكهم، كما تعزز غرض المدح عند المغاربة بالتحرشات الإسبانية المنتهية باحتلال أطرافٍ من أراضي المغرب الأقصى، فكانت كل موقعة حربية يُنتصر فيها إلا ومدح فيها الشعراء ملوكهم على تلك الصنيعة، ومن ذلك مدحية مفتي فاس عبد الواحد بن محمد البوعناني، وقد نظمها في المولى اسماعيل إثر استرجاعه لثغر العرائش الذي كان بيد النصارى، حيث يقول الشاعر:

ألا أَبْشِرْ فَهَذَا الفَتْحُ نُورُ قَد انْتَظَمَتْ بِعَزْمِكُم الأمُورُ

حَمَيْتُم بَيْضَةَ الإسْلامِ لمَّا بِعَينِ الحَقِّ قَد حَرس الثُّغُور

وجَاهَدْتُم وقَاتَلْتُم فَأَنْتُم لِدِينِ اللهِ أَقْمَارٌ تُنِيرُ

وأَطْلَعْتُم صَوَارِمَكُم نُجُومًا لَدَى هَيْجَاءِ صَاحِبِهَا كفُورُ

وفِي ثَغْرِ العَرَائِشِ قَدْ تَبَدَّى لِقَدْرِكُم على الشِّعْرَى الظُّهُورُ

لَقَدْ كَانَ المُلُوكُ يُسَاوِمُوهَا ورَامُوهَا وبَانَ لهم نُفُورُ

فَلما جِئْتَهَا انْقَادَت وقَالَت إِلَيكَ بِحَقِّ مَوْلانَا المَصِيرُ[6]

كما غَنِي التجريب الشعري المغربي بغرض الاستصراخ، ومرد ذلك هو التحرشات الاسبانية، ومن ذلك نورد قصيدة الشاعر أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن الذي أنشد مطولة يستصرخ فيها باب حسن، ومما جاء فيها:

نَادَتْكَ وَهْرَانُ فَلَبِّ نِدَاهَا وانْزِلْ بِهَا لا تَقْصِدَنَّ سِوَاهَا

واحْلُلْ بِهَاتِيكَ الأبَاطِحِ والرُّبَا واسْتَصْرِخَنَّ دَفِينَهَا الأوَّاهَا

واسْتَدْعِ طَائِفَةَ العَسَاكِرِ نَحْوَهَا يَغْزُو بِها و لْيَنْزِلُوا بِفِنَاهَا

قَد طَالمَا عَبَثَتْ بِها أَيْدِي العِدَا حَتَّى استَبَاحُوا أَرْضَهَا وحِمَاهَا

وتَصَرَّفُوا في المُسْلِمِينَ بمَا غَدَا أُعْجُوبَةً لمن اغْتَدَى يَرْعَاهَا

أَضْحَى الصَّلِيبُ مُؤَيدًا والدِّين قدْ دَرَسَت مَعَالِمُهُ فَلَسْتَ تَرَاهَا

جَعَلُوا بهَا النَّاقُوسَ في أَوْقَاتِهِم بَدَلَ الأَذَانِ وغَيَّرُوا مَعْنَاهَا[7]

كما ظهر شعر رثاء المدن بسبب سقوطها في يد الاسبانيين، ومن ذلك ندب الشاعر الفقيه مفضل أفيلال مدينة تطوان بعد سقوطها في يد الإسبان، يقول الشاعر:

يَا دَهْرُ قُلْ لِي عَلامَهْ كَسَرْتَ جَمْعَ السَّلامَهْ

نَصَبْتَهُ للدَّوَاهِي ولم تَخَفْ من مَلامَهْ

خَفَضْتَ قَدْرَ مَقَامٍ للرَّفْعِ كَانَ عَلامَهْ

مَلَّكْتَهُ لأعَادِي لَيسَتْ تُسَاوِي قُلامَهْ

فالدِّينُ يَبْكِي بِدَمْعٍ يَحْكِيهِ صَوْبَ الغَمَامَهْ

عَلَى مَسَاجِدَ أَضْحَتْ تُبَاعُ فِيهَا المُدَامَهْ[8]

رابعا_ الحركة الشّعريّة الإحيائيّة المغربيّة في العصر الحديث:

1- المدّ الإحيائي بالمغرب العربي:

شهد المغرب العربي في العصر الحديث انتشار المد الإحيائي في جل أقطاره، فعلى صعيد المغرب الأقصى يشهد عبد الله كنون بأن "الحياة الفكرية والأدبية بقيت على حالها من تمثل الماضي واحتذاء حذوه سواء في المادة أو القالب، في المعنى أوالأسلوب، المؤلفون يضعون تآليفهم على غرار الذين من قبلهم، والأدباء يصوغون أدبهم نفس الصياغة التي توارثوها عمن تقدمهم"[9]، إن الطابع الإحيائي يشهد مدا واسع الانتشار حتى خارج مجال الحركة الشعرية مشتملا على الحياة الفكرية، والتأليف، والأدب، وهذا نرجعه –بدورنا– إلى أسباب وجود الإحيائية في حد ذاتها بالمغرب العربي إبان العصر الحديث. أما في تونس فنقرأ إقرارا لمحمد الفاضل بن عاشور وإن كنا نراه مقتضبا يرصد فيه وضع الشعراء الإحيائيين الأوائل في تونس، وقد خص الشاعر قبادو ومحمد الباجي المسعودي وغيرهم من أقطاب الإحيائية بتونس، فهؤلاء الشعراء قد "تعاطو الشعر فأجادوا وجودوا، وإن لم يبلغوا شأن الفحول، كانوا جميعا من العلماء الزيتونيين وكان شعرهم متين الأسلوب، سليم الذوق البياني وإن كانت روح قصائدهم ومقطعاتهم إلى السذاجة أقرب"[10]. في حين إذا انتقلنا إلى موريطانيا فإننا نجد تأسيس الإحيائية بها قد تم بعد ثورة الشعراء على سطوة السلطة الدينية بموريطانيا بعد أن كانت تفرض هيمنتها على كل شيء باسم مجموع فقهاء شنقيط وما جاورها، وبذلك تحرر الشعراء الموريطانيون من الأنموذج الديني وشرعوا في التأسيس للخطاب الشعري الإحيائي حيث المرجعية مستوحاة من الشعر القديم وخاصة الجاهلي كأنموذج حيوي بالنسبة لشعراء العصر الحديث بموريطانيا كابن الطلبة 1856م ومحمد بن حنبل[11]، ومن أهم الأغراض التي بدأت تدب فيها الحياة نذكر الغزل، والهجاء. أما في ليبيا[12] والجزائر لم يشذ الوضع فيهما عن باقي أقطار المغرب العربي فقد ساد فيهما الخطاب الشعري الإحيائي الذي حاول النسج على طريقة القدماء واحتذاء نماذجهم الشعرية التراثية، وبهذا بات معنا الحديث عن الإحيائية الشعرية المغربية أمرا ممكنا ستؤيده الشواهد الشعرية.

2_ مستويات الإحياء في الخطاب الشعري المغربي الحديث:

حظي الخطاب الإحيائي بالتنوع والغزارة على صعيد إنتاجية الأغراض الشعرية، فقد نظم الشعراء المغاربة تقريبا في جل الأغراض، كالغزل، والفخر، والمدح، والحكمة، والوصف، والرثاء، والهجاء..، ودليل ذلك ما وجدناه من شعر مبثوث في بطون الدواوين أو الدراسات المهتمة بجمع المادة الشعرية المغربية. وفي زاوية ما من الطرح نشير إلى أن الخطاب المغربي الحديث قد تمثل خاصيات الشعر القديم كأنموذج يحتذيه الشعراء على صعيد الأغراض الشعرية ومعانيها، وأول الأغراض الشعرية التي نختارها للحديث عنها المدح، فقد نظم فيه الشعراء المغاربة بكثرة، ففي المغرب الأقصى يرجع سبب الاهتمام بالمدح إلى طبيعة الحكم الملكي والمدح يترابط أكثر مع السلاطين لمدحهم، ولقد استمر هذا الحال من الترابط حتى في عهد الحماية، ويعضد كثرة النظم كثرة المداحين في المغرب الأقصى والدليل على ذلك ما يحكيه السقاط في دراسته عن أهم شعراء المدح في فترة الحماية قائلا: "ولعلي أكتفي في إطار المجموعات الشعرية في هذه المرحلة بالإشارة إلى ديوان اليمن الوافر الوفي في مدح الجناب اليوسفي لعبد الرحمان بن زيدان العلوي الذي ضم فيه المؤلف إلى جانب شعره في مدح السلطان مولاي يوسف بن السلطان مولاي الحسن الأول أشعار غيره من المبدعين في الموضوع ذاته أمثال محمد البكاري ومحمد بوجندار وغيرهما"[13] . أما في تونس فمن شعراء المدح محمود قبادو، والشيخ محمد الحشايشي الشريف متفقد خزائن الكتب بالجامع الأعظم (1855- 1912م)، والشاعر السيد العربي الكبادي(1881- 1961م)، وهو أحد أعيان المتطوعين بالجامع الأعظم، ومن النماذج المدحية المستشهد بها مقطوعة شعرية للكبادي توجه بها إلى صاحب مجلة السعادة، علق عليها محمد الفاضل ابن عاشور فقال: "مقطوعة أخرى بخمسة أبيات للعربي الكبادي ...لا تخرج معانيها عما هو سائد معروف في باب التقريظ والتمجيد"[14] ، ومما جاء في المقطوعة قول الشاعر:

سَعَادَتُكُم فِينَا لقد طَلَعَتْ شَمْسَا فَكُلّ لَها أَضْحَى مَشُوقًا كَمَا أَمْسَى

ولله ما خَطَّتْ يَرَاعَتُكَ التي بِرِقَّةِ ما تُبْدِيهِ تَسْتَمْلِكُ النَّفْسَا

مَجَلَّةُ عِلْمٍ لم تَجل في ضَلالَةٍ ولكن جِرَاحَاتُ الضَّلالِ بها توسَّى

تَقُولُ لِقَارِيهَا مَقَالَة مُرْشِدِ سَنُقْرِئُكَ الحَقَّ المُبِينَ فلا تَنْسَى

فَدُمْتُمْ ودَامَتْ لِلأَنَامِ سَعَادَةٌ وأَيْدِي العِدَا لا أَسْتَطِيعُ لهَا مَسَّا[15]

وإذا انتقلنا إلى غرض الفخر فإننا نجد القباج يذكر عددا معتبرا من الشعراء الذين نبغوا في هذا الغرض بالمغرب الأقصى، وقد اخترنا منهم على سبيل الاستشهاد الشاعر البلغيثي، وكان عالما جهبذا من جهابذة علماء الفقه الإسلامي، وأديبا، له قصيدة في غرض الفخر عنوانها أغالي بنفسي، حيث يقول فيها الشاعر :

أُغَالِي بِنَفْسِي أَنْ تُسَامَ بِوَقْفَةٍ بِبَاب ولو بَاب الأَمِيرِ المُحَجَّبِ

أَرَى كُلَّ مَجْدُودِ بِحَظٍّ مِن الغِنَى فَقِيرًا حَقِيرًا لا يَقُومُ بِمَطْلَبِي

أَبَتْ هِمَّتِي إلا المَعَالِي دَائِمًا وِرَاثَة نَفْسٍ من جُدُودٍ ومِنْ أَبِ

فَإِنْ عَنَّ في نَهْجِ المَنَاصِبِ ذِلَّةٌ تَنَكَّبَتْ ذَاكَ النَّهْجِ حِفْظًا لِمَنْصِبِي

فَتَأْتِي المَعَالِي نَحْوَ بَابِي سَرِيعَة وأُدْرِكُ مِنْهَا وِفْقَ قَصْدِي ومَطْلَبِي

إذا لمْ تَكُنْ نَفْسُ الشَّرِيفِ شَرِيفَةٌ فَمَا شَرَفُ الأَجْسَادِ عِنْدِي بِنِيسَبِي[16] ما

نزال نقرأ من الأغراض الرثاء وشاهدنا قصيدة للشاعر محمد غريط الذي لم يفوت على المشهد الشعري مناسبة وفاة والدة السلطان مولاي يوسف، فراح يرثيها بقصيدة جاء فيها:

عَلَى مِثْلِ هَذَا الخَطْبِ يَنْصَدِعُ الصَّدْرُ وتَنْكَسِفُ الشَّمْسُ المُنِيرَةُ والبَدْرُ

وتَبْكِي عُيُونُ المَكْرُمَاتِ ومَالَهَا إذَا لمْ تَجُدْ بِالدَّمْعِ عَهْدٌ ولا عُذْرُ

أَيَا قَبْرًا لو أَنْصَفَتْ طِرْتُ مَسَرَّةً فَقَدْ حَلَّ فِيكَ العِزُّ والمَجْدُ والفَخْرُ

وأَصْبَحْتَ مَحْمُودًا بِخَيْرِ كَرِيمَةٍ وتَاقَتْ إِلَيْكَ الأُفقُ والأَنْجُمُ الزُّهْرُ

ورَوْضًا حَبَاهُ الله منهُ عِنَايَةً فَعَاجَتْ له الأَمْلاكُ والأَوْجُهُ الغُرُّ

سَقَاكِ مَدَى الأَيَّامِ صَيِّبَ رَحْمَةٍ وفَاحَ عَلى الأَرْجَاءِ مِنْ طِيبِكِ النَّشْرُ

وأَيَّدَ بِالصَّبْرِ الجَمِيلِ أَمِيرَنَا عَلى حَادِثٍ فِي مِثْلِه يَعْظُمُ الأَجْرُ[17]

وفي الاعتذاريات، نتمثل الخطاب الشعري الذي نظمه الشاعر محمد الشاذلي مع الإشارة أن هذا النموذج الشعري قد ورد ذكره في ديوان الأمير، يقول الشاعر الشاذلي معتذرا من الأمير عما كان من عتاب للشاعر في حق الأمير، فقال :

سَلامٌ يَفُوقُ المِسْكَ والنَّدَى عُرْفُهُ يَعُمُّ حِمَى قَوْمٍ كِرَام المَحَافِلِ

كِرَامٌ إذا مَا العَبْدُ بَيْنَهُم جَنَى حَبَوْهُ بِعَفْوٍ شَامِلٍ ومَآمِلِ

بِقَدْرِ عَظِيمِ الذَّنْبِ يَعْظُمُ عَفْوُهُم فَأَكْرِمْ بِهِمْ قَوْمًا كِرَام الشَّمَائِلِ

عَلَى قَدْرِ نَقْصِي عَامِلُونِي بِفَضْلِكُم أَيَا كَامِلِينَ الوَصْفَ لَسْتُ بِكَامِلِ

نَدِمْتُ عَلى ما كان مِنِّي ونَادِمٌ عُقَيْبَ وُقُوعِ الفِعْلِ لَيْسَ بِفَاعِلِ

عَلَى أَنَّ عَقْلَ المَرْءِ يَذْهَبُ للقَضَا فَذُو العَقْلِ ذُو عِلْمٍ ولَيْسَ بِجَاهِلِ[18]

وبتتبعنا لمعاني الأغراض الشعرية نجد الشعراء المغاربة كلما تطرقوا لغرض من الأغراض الشعرية إلا واستلهموا معانيها من مرجعية تراثية، فكان لمعاني كل غرض نسقه المستقل بحيث تجري تلك الأنساق على طرائق مخصوصة لم يخالفها الشعراء الإحيائيون المغاربة، وبهذا كان الخطاب التراثي أنموذجا تمسك بأهدابه الشعراء المغاربة فراحوا يأتون بالمعاني على مستوى غرض الغزل –على سبيل الاستشهاد– مثلما جاء به الأولون، ومنها غنج المحبوب / تيهه ودلاله أمام المُحِبِّ / انفطار قلب المُحِبِّ / ذكر الوجْد في قلب المُحِبِّ / حرقة كبد المُحِبِّ / انهمار الدموع من عين المُحِبِّ.. إنها

بعض من كل كمنطلقات تأسيسية لتشكيل نسق البنية الغزلية والدليل على احتواء الشعر الغزلي لتلك المعاني قصيدة للشاعر الحسن بن ناصر بن الحاج الداودي التلمساني الحسني، والمولود بفاس في شهر ذي الحجة سنة 1317هـ ، حيث يقول:

حَلِيفَ السُّقْمِ ذُو جَفْنٍ مُسَهَّدِ كَثِيرَ لَومِي والصَّبْرُ يَنْفَد

أَسِيرَ هَوَى فَتَاةٍ ذَاتُ ظُرْفٍ لِطَلْعَتِهَا سُرَاةُ القَوْمِ سُجد

صَبَا قَلْبِي إليهَا مُذْ رَآهَا تَجَلَّت فِي سَمَاءِ الحُسْنِ فَرْقَد

وكُنْتُ أَخَالُ قَلْبِي حِينَ تَدْنُو الـ قُلُوبُ مِنَ الهَوَى ذَاكَ أَبْعَد

وَلَكن خَانَنِي وانْصَاعَ لما رَأَى سَيفَ النَّوَاظِرِ فيهِ يُغْمَد

وقَدًّا كَالقَنَا أو غُصْنَ بَانٍ إذَا مَرَّ النَّسِيمُ به تَأَوَّد[19]

تتسم البنية اللغوية للخطاب الشعري الإحيائي المغربي باختيار ألفاظ جزلة، ومتينة، ذات فصاحة في عمومها، وغير قلقة ونابية في مواطن تراكيبها. ومما نلاحظه أيضا على الألفاظ التي حيك بها النسيج الشعري هو تناسبها مع الغرض الذي نظمت وفقه، ففي النسيج الغَزَلي تستعمل الألفاظ العذبة، السلسة، ونستشهد في هذا السياق بقصيدة الحسن الداودي* حيث نورد منها: الهوى، صبا قلبي، ظرف، الحسن، النسيم..إلخ. وأنسجة شعرية أخرى تناسبها ألفاظ ذات قعقعة، وجلبة، فخمة، قوية، مناسبة لغرض الفخر، و نتمثل هنا بألفاظ قصيدة البلغيثي** التي نورد منها : المحجب / مجدود / الفخر / المجد / البيض / أسيافنا / الحسام / نزلة / ضيغم / الحرب..إلخ. و أهم ما نشير إليه على صعيد البنية اللغوية هو امتياح الشعراء الوحدات اللغوية البانية للنسيج الشعري من المعجم اللغوي التراثي، إذ أخذ الشعراء المغاربة منه كل ما احتاجوا إليه من ألفاظ للنسيج النصي ومنها نستشهد بـ: اليراع، الأنام، مجدود، الشمائل، فرقد، يغمد، القنا***، ..إلخ.

أما على مستوى البنية الموسيقية يمكننا الحديث عن امتياح القصيدة المغربية الحديثة لأصول بنيتها الموسيقية من الأنموذج العربي القديم، فإذا رجعنا إلى القوالب تحدثنا عن نظم المغاربة للمطولات، والقصائد، والمقطوعات، وحتى البيت والبيتين، وعمدتنا في الاستشهاد بهذا هو ديوان الأمير عبد القادر الذي جمع القوالب الشعرية جميعها ونذكر من كل ذلك مطولة الأمير عبد القادر في الفخر إذ امتدت القصيدة من الصفحة التاسعة بعد التسعين إلى غاية الصفحة التاسعة بعد المائة****. كما تتخذ الأشعار المغربية من الطروح الخليلية معلما لها لرسم شكلها الهندسي وذلك بأخذها بنظام البيت، وفي زاوية أخرى من الطرح نجد القصائد المغربية تنسج وفق تعاليم البنية الموسيقية التراثية سواء تعلق الطرح بالموسيقى الخارجية أو الداخلية، أما تفصيل الموسيقى الخارجية فيكشف عن التزام الشعراء بالأبحر الخليلية الست عشرة سواء كانت الأبحر تامة، أومجزوءة، أومشطورة، أومنهوكة، كما لم يخرجو عن حياض الأوزان الخليلية، ودليلنا في ذلك قصيدة الأديب التهامي بن المهدي المزوار المتوفى سنة 1310 هـ ، جاء فيها :

حَيَّاكَ مَا أَمَّلْتَ مِنْ أَوْطَارِ فَاهْنَأْ بِعِزٍّ شَامِخِ المِقْدَارِ

وبَشِيرُ سُعْدَى قَدْ أَتَاكَ مُبَشِّرًا بِسَعَادَةِ الإيرَادِ والإِصْدَارِ

فَلَذِكْرُهَا فِيهِ ارْتِيَاحُ القَلْبِ والـ أَرْوَاحِ والأَشْبَاحِ والأَفْكَارِ

فِي حَضْرَةِ المَلكِ الهُمَامِ المُرْتَدِي بُرَدَا النَّدَى والجُودِ والإِيثَارِ[20]

لقد نظم الشاعر نصه على بحر الكامل. أما تفصيلية الموسيقى الداخلية فيمكننا الحديث عن مجموع القيم الصوتية التي تغذى البنية الموسيقية وأساسها هو مولدات الموسيقى الداخلية التي تنتجها بعض الأصوات –في قصيدة المزوار أنموذجا– والمنتشرة على جسد القصيدة المدحية كالأصوات الانفجارية ومنها نورد القاف، والباء، والجيم، والدال، فضلا عن الأصوات الصفيرية كالسين، و الزاي وهي جد قليلة في النص، مع التذكير

أن اختيار هذا النمط من الموسيقى الداخلية والمتعاضدة مع الموسيقى الخارجية تحصل مناسبته مع غرض القصيدة القائم على تعظيم الممدوح، وفي هذه الصنيعة إحياء للشاعر المغربي الحديث لبعض من تقديمات الأنموذج التراثي.

لقد شهد المغرب العربي انتشار المد الإحيائي على صعيد الخطاب الشعري الحديث، ومما تجدر الإشارة إليه أن النتاج الشعري قد انبثق من عباءة التراثي فتمثله قالبا إبداعيا تبنى خاصياته البنائية، والدلالية، والثيمية، واللغوية، والموسيقية، انفتحت الأوساط القرائية على هذا النتاج الشعري كما استمر هو في استحواذه على ذائقة التلقي في البيئة المغربية إلى غاية نهاية العقد الثاني من القرن العشرين، إلا أن عتب النقاد والدارسين على الإحيائية المغربية أن الشعراء لم يظهروا شخصية إبداعية مغربية مستقلة في ظل ترسم خطى الأنموذج الشعري العربي القديم، مما حال بينهم وبين الإتيان بكل جديد، وعليه، هل يمكن الحديث عن التجديد الشعري الحديث في بلاد المغرب العربي؟